**المرجع البيئي: (Environment) : الدكتور اياد خلف ياسين**

إن البيئة بمفهومها المادي والفكري كما هو معروف تمثل أحد الثوابت المؤثرة التي لها النصيب الكبير في منجزات الحضارة القديمة والحديثة فهي مصدر مهم من مصادر التأثير في فعاليات المجتمع.

والبيئة بمعطياتها الفكرية والطبيعية. لما لها من تأثير على فكر الفنان وذلك بوصفها " الوسط المادي المحسوس الذي يواجهه الإنسان ويتعامل معه ، ويتعرف من خلاله على الظرف الآخر ويكون لنفسه أفكارا".

ويمكن إن نرى تصوراً أخر لمفهوم البيئة ولو بشيء من البساطة، وهي "مجموعة الأشياء والظواهر المحيطة بالإنسان المؤثرة فيه ، نقول البيئة الطبيعية أو الخارجية والبيئية العضوية، والبيئة الاجتماعية والبيئة الفكرية".

فالبيئة إذن هي كل ما يحيط بالإنسان من العوامل المادية والمكانية والزمانية والاجتماعية والتي تحدد نظام حياة الفرد ومواقفه واتجاهاته. ولما كان الإنسان يعيش تحت تلك الظروف البيئية فهو يتأثر بها ويؤثر فيها، ولان الإنسان كائن اجتماعي فعليه إذن التكيف تحت تلك الظروف لأنه لا يمكن أن يعيش الإنسان أو يتواجد من غير بيئة تحتويه . فهو يعمل على تنظيم متطلبات حياته ومحاولة تنظيمه كل ما يحيط به لكي يتألف مع هذه البيئة.

ويمكن القول "إن الإنسان يتفاعل مع مفردات البيئة بمؤثراتها البصرية (الشيئية) للمكان والعادات والتقاليد الاجتماعية، وتحت نوعين من الظروف هي (الحاجة والتبعية)".

"فالحاجة هي النظرة الاجتماعية في التواصل من قبل الفرد بالحياة وعلاقته السوية بذلك ضمن نشاطه اليومي بالآخرين، والتبعية هو تبعيته للمحيط والمكان بمؤثرات الإرث الاجتماعي" وهذا التفاعل مع البيئة هو (التكيف)[[1]](#footnote-1)\* حيث ينطوي هذا التكيف باتجاهين اولهما فكري وثانيهما مادي( خامات) كما يلاحظ ذلك جلياً في صناعة الحضارات وذلك من خلال الإنجازات الفنية في تلك الحضارات كحضارة سومر، أكد، آشور، وحضارة وادي النيل، والإغريق وغيرها لأنه "عملية التكيف مع البيئة هي أساس التقدم الحضاري".

ومن خلال هذا التكيف يستطيع الإنسان إن يعيش ضمن إطار البيئة وللتعامل مع أفراد المجتمع بما تسمح به أو تحدده تلك البيئة وما تترك فيه من عادات وتقاليد ومعتقدات وبضمن بذلك مقدرة العيش والبقاء حياً في تلك البيئة.

ولقد اصبح واضحاً هنا انه لا يمكن ان تحكم على أفعال الإنسان من خلال النظرة القائلة إن الإنسان أصيل بحد ذاته، بمعزل عن ظروفه التي تحيط به. وان كل ردود أفعاله ونتاجاته الفنية هي ناتج تأثير البيئة المحيطة فضلاً عن بقية المرجعيات. وفي حال حصول أي تغير في هذا النظام العام سيؤدي بالنتيجة إلى تغير في نتاجه الفني. لان الفنان "مخلوق ارضي يعيش في بيئة جماعية ذات صبغة اجتماعية خاصة ويستجيب لطائفة من المنبهات الفنية المعينة، ويتأثر بمجموعة من التيارات الجمالية السائدة بحيث لو تغيرت بيئته الاجتماعية لترتب على ذلك ضرورة انقلاب هائل في نوع إنتاجه الفني".

وهنا يمكن إن نرى إن أي تغير في النظام البيئي يؤدي إلى تغير في كل أنظمة الفن من خلال التغير الحاصل في التنظيم الشكلي تبعاً للتغيرات الحاصلة تحت إطار التكيف مع المحيط. وما عملية التكيف تحت ظرف البيئة ما هي إلا عملية انتظام العناصر بتنظيم معين الذي يفرضه نظام الحياة، وليس هذا فحسب بل إن هناك محاولات لخرق هذا النظام ناتج عن التلاعب في التنظيم وتحت نفس الظروف (الحاجة والتبعية) .

فهذا التكيف يقدم للإنسان الفرصة للمشاركة في تطور تلك البيئة وإعطائها صورة ليس كما يراها وإنما كما يدركها عقله محاولاً إعطائها معنى وقيمة وأهمية لأنه الإنسان عندما زوده الإله بهذه الحواس وأعضاء الحركة والدماغ المتطور فكأنما أعطاه الدوافع الأساسية لهذا التفاعل مع البيئة.

ليس هذا فقط من اجل العيش وإنما لغرض التعرف على الأشياء وإقامة العلاقات مع الناس، ويعكس كل هذا من خلال تقديم الخدمات والتعبير عن ذلك بالإعمال التي يقوم بها.

1. \* التكيف :-(في علم النفس الاجتماعي ) تغير في سلوك الفرد كي يتسق مع غيره من الأفراد، وخاصة بإتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية (المعجم الفلسفي)، القاهرة ،1979، ص45. [↑](#footnote-ref-1)